أخذ كبير الخدم المنديل من توم دون أي تعليق.

راقب الخدم توم وهو يأكل، ولم يكن من اليسير عليهم رؤية أميرهم في مثل هذه الحالة. فلم يستخدم الشوكة الصحيحة عند تناول السلاطة، ورشف من الكوب محدثًا صوتًا مرتفعًا، كما دس أصابعه في الخضروات. فهو لم ير من قبل اللفت أو تلك الأوراق الخضراء المعروفة بالخس. ونظر الخدم إليه في ذعر وهو يضع الشوكة جانبًا ويتناول ما تبقى من وجبته بيديه.

وفي منتصف الوجبة، اكتشف توم مشكلة جديدة؛ فقد شعر بحكة في أنفه ولم يعلم ما يتوجب عليه فعله: هل عليه حكها بنفسه؟ فإن لم يكن مسموحًا له ارتداء ملابسه بنفسه، فهل سيكون مسموحًا له حك أنفه؟

قال توم: «عذرًا، هل يمكن أن يخبرني أحد، رجاءً، هل بإمكاني حك أنفي؟» تسمر جميع الخدم في أماكنهم محدقين في توم في ذهول، ولم يعلم أحد منهم ما يمكن فعله، فظلوا صامتين. وفي آخر الأمر، استسلم توم للأمر الواقع وحك أنفه بنفسه.

عند الانتهاء من العشاء، وقف توم، وملأ جيوبه بالمكسرات — تحسبًا لشعوره بالجوع في وقت لاحق — وتوجه عائدًا إلى غرفته بعد أن قال: «شكرًا لكم على الطعام، أتمنى لكم ليلة سعيدة.» ولوح بيده للجميع، وترك الغرفة.

راقب الخدم توم وهو يترك الغرفة، وتمنوا ألا يطول مرض الأمير.

الفصل السادس

الختم الملكي

استيقظ الملك هنري من غفوته مذعورًا، فقد علم أنه يحتضر وأراد التأكد من أن كل شيء سيسير بسلاسة بعد رحيله. يحمل ملك إنجلترا على عاتقه مسئوليات جِسام، فماذا إذا كان إدوارد يعاني من مشكلات؟ هل كان ابنه يتعرض للكثير من الضغوط؟ ألهذا السبب كان يتحدث بغرابة شديدة؟

استدعى الملك هنري لورد هيرتفورد إلى غرفته. كان اللورد واحدًا من أكثر الأصدقاء الذين يثق فيهم الملك، وكاد يحيط علمًا بكل شئون الملك. وفي الواقع كان أحد الأشخاص المعدودين الذين كانوا يعرفون أن الملك كان مريضًا منذ فترة. هذا أيضًا إلى جانب معرفته بأن الأمير إدوارد كان يتولى بعضًا من مهام الملك.

قال الملك هنري: «علينا إتمام عملنا، وسنحتاج للختم الملكي لاستكمال هذه القوانين الجديدة.» كان هنري يواجه صعوبةً في التنفس، فتحدث ببطء شديد للحفاظ على ما لديه من قوة. «لقد أعرت الختم للأمير إدوارد منذ بضعة أيام، أرجوك خذه منه.»

قال هيرتفورد: «بالتأكيد، جلالتك.» ثم توجه مباشرةً إلى غرفة الأمير إدوارد.

وعند وصول هيرتفورد إلى الغرفة، وجد توم متعثرًا في أداء واجب اللغة اللاتينية، فتساءل هل اعتلال عقل الأمير قد زاد من صعوبة تعلمه.

قال هيرتفورد منحنيًا أمام توم: «سيدي، لقد أرسلني والدك وطلب مني إحضار الختم الملكي إليه.»

رفع توم بصره عن الكتاب المدرسي، وقد أصابته حيرة شديدة؛ فماذا يكون هذا الختم الملكي؟ فقال: «أستميحك عذرًا، لورد هيرتفورد، لكنني لا أفهم ما تقوله.»

حاول هيرتفورد مرة أخرى: «الختم الملكي، لقد أعارك والدك إياه الأسبوع الماضي، ونحن بحاجة إليه لإنهاء بعض الأمور المهمة.»

بحث توم حوله في الغرفة، لكن هل كان ليتعرف على الختم حتى إن رآه؟ سأل توم في هدوء: «هل يمكنك وصفه لي؟» علم توم المسكين أنه خيب ظن هيرتفورد، لكنه كان يبذل أقصى ما في وسعه.

– «يوجد به مقبض وفي أسفله قرص مستدير من الذهب.»

هز توم رأسه، وقال: «آسف، لم أره.» وفكر لحظة، ثم استطرد: «ربما سبق أن أعاده الأمير الحقيقي.» لاحظ توم النظرة على وجه هيرتفورد، فقال: «أعني، ربما أكون قد أعدته الأسبوع الماضي.»

قضى هيرتفورد الدقائق القليلة التالية محاولًا إقناع توم أن الختم الملكي — أيًّا كانت ماهيته — كان في مكان ما بالغرفة. فما كان من توم إلا أن ابتسم وهز كتفيه.

أخذ هيرتفورد يفكر وهو يسير عائدًا إلى غرفة الملك: «حسنًا، ربما يكون الأمير مجنونًا، لكنه لا يزال على الأقل مهذبًا.»

وعندما أخبر هيرتفورد الملك هنري أن الختم الملكي مفقود، تنهد الملك بعمق وقال: «أتمنى أن يسترد ابني عافيته سريعًا. فلا يمكن أن يكون الأمير مجنونًا، فما بالك بملك مجنون.»

الفصل السابع

أولى ليالي إدوارد بعيدًا عن القصر

في هذه الأثناء، استمرت حياة الأمير إدوارد خارج القصر. وبينما كان توم يتعلم كيف تكون حياة الأمراء، كان إدوارد يتعرف على مدى صعوبة حياة الفقراء. فهو لم يعتد أن يتجاهله الناس، بل جرت العادة معه أن يهب الناس لتنفيذ أوامره في الحال. لكنه لم يتمكن من جعل السيد كانتي يستمع إليه.

جرَّ جون كانتي الأمير المتوسل إلى الغرفة التي تعيش فيها الأسرة. قاوم إدوارد وأخذ يصيح، لكن كانتي أحكم قبضته عليه.

قال السيد كانتي متجهمًا: «لقد نلت كفايتي منك ومن ردودك الوقحة. ستخرج فجر غد للتسول في الشوارع والحصول على المال! وستظل هناك، فليس هناك وقت للعب أو لمقابلة أصدقائك.»

صاحت السيدة كانتي: «دع الفتى وشأنه!»

نظر كانتي إلى زوجته في ذهول. «كيف تجرئين على الحديث معي بهذه الطريقة؟! سأفعل ما أشاء في منزلي.» لكنه أفلت الصبي وأمره بالذهاب إلى النوم.

ألقى إدوارد نظرة على أنحاء الغرفة. كانت تضيئها شمعة واحدة والظلام يعمها. جلست سيدة عجوز في الركن، ونظرت إليه فتاتان تجلسان بجوارها والشفقة تملأ عينيهما. حاولتا الابتسام، لكن القلق بدا عليهما.

قال إدوارد مخاطبًا السيد كانتي: «سوف تعلم أن هذه المعاملة لن تمر مرور الكرام. فأنا إدوارد، أمير ويلز. سوف تدفع ثمن أفعالك عندما أعود إلى القصر.»

نظر جميع من كانوا في الغرفة إلى إدوارد، وبدأت السيدة العجوز الجالسة في الركن في الضحك: «أخيرًا، فقد الصبي عقله!» وأخذت تتأرجح في كرسيها وهي تقهقه مع نفسها.

نظرت السيدة كانتي إلى الصبي مشفقةً عليه، وقالت له: «ابني العزيز، هل تشعر بالمرض؟» ثم وضعت يدها على جبينه لترى هل يعاني من الحمى، وشرعت في البكاء وهي تملس على وجنته. «آه، حبيبي توم المسكين.»

قال إدوارد برفق: «آسف، اسمي ليس توم، اسمي إدوارد، الأمير إدوارد.» لقد أدرك في الحال أنها امرأة حنون للغاية، ولم يرغب في إخافتها أكثر من ذلك، فقال: «ابنك بخير، أرجوك لا تقلقي. إنه في القصر الآن، لقد تبادلنا الملابس ...»

قال السيد كانتي مقاطعًا: «حسنًا، ألسنا محظوظين حقًّا. لا يحظى الجميع في «أوفال كورت» بزيارة ملكية.» ثم نظر إلى السيدة العجوز وغمز بعينه، واستمرت هي في الضحك.

«هيا، نان! بيت! لا تجلسا أمام الأمير. ألا تعلمان أن هذا تصرف وقح؟» وقف السيد كانتي واضعًا يديه بجانبيه. «نحن لا نريد أن يأخذ الأمير فكرة سيئة عنا.» وعندما لم تتحرك الفتاتان، غضب السيد كانتي وصرخ فيهما: «ألم تسمعاني؟ يجب عليكما الركوع أمام الأمير.»

قالت نان: «أبي، إن توم متعب، ويجدر بنا السماح له بالحصول على قسط من النوم.»

وأضافت بيت: «أنا على يقين أنه سيصبح أحسن حالًا في الصباح.»

فردت السيدة العجوز: «ضاعت أموال هذا اليوم أيضًا هباءً!»

وقف إدوارد، وقال: «كفى! أنا ابن الملك.»

نظر السيد كانتي إلى إدوارد وقد احتقن وجهه من شدة الغضب.

فجذبت السيدة كانتي الصبي بين ذراعيها وقالت بصوت حانٍ: «أرجوك، دعه ينام الليلة، وستتحسن الأمور في الصباح.»

نظر السيد كانتي إلى زوجته، وقال: «حسنًا، سندع الأمر الآن. ولكن ذلك لأن تعب اليوم قد حلَّ بي فقط.»

أومأت السيدة كانتي برأسها ومسحت على شعر إدوارد وهي تقول: «تعال يا بني. استلق هنا وحاول أن تنام.» وسوت السيدة كانتي البطاطين على الحصيرة القش وأحكمتها حول إدوارد. حاولت أن تشعره بالراحة قدر الإمكان، وأخرجت من جيبها قطعة من الخبز كانت قد ادخرتها له من حصتها في الطعام.

همس إدوارد: «شكرًا لك، سيدة كانتي، سوف أتذكر دائمًا طيبة قلبك.»

وعندما راح الجميع في النوم، نهضت السيدة كانتي ووقفت بجانب إدوارد لتشاهده وهو ينام لبضع دقائق. بدا لها الأمر مستحيلًا ألا يكون هذا ابنها، لكن ثمة أمر غير صحيح. ربما نبرة صوته أو هيئته، ربما طريقته في التلويح بذراعه عندما لا يعجبه شيء ما، فهو يفعل ذلك وكأنه يدفع الأفكار أو الناس غير المرغوب فيهم بعيدًا.

لقد كانت تعلم إيماءات توم وعاداته جيدًا؛ كلما كان يستيقظ من النوم أثناء الليل، كان يضع يده أمام وجهه مع توجيه راحتها للخارج. لقد فعل ذلك آلاف المرات، ودائمًا يتبع الأسلوب نفسه.

جثت السيدة كانتي بجانب الصبي، ودغدغت أنفه بريشة من فراشها. فتح الصبي عينيه جيدًا وجلس مستقيمًا قليلًا، لكنه لم يضع يده أمام وجهه. وبدلًا من ذلك، أغلق عينيه وعاد يغط في نوم عميق مرة أخرى. وللتأكد من الأمر، دغدغت السيدة كانتي أنفه بالريشة مرة أخرى، فلم يفتح الصبي عينيه هذه المرة، وكل ما فعله هو أنه تقلب في نومه وسحب البطانية إليه.

لم تعرف السيدة كانتي هل ينبغي عليها الضحك أم البكاء. فقد سعدت بأن هذا الصبي ليس ابنها؛ فذلك يعني أن توم ليس مجنونًا. لكنها كانت قلقة؛ فهل ابنها بأمان؟ هل هو حقًّا في القصر؟ بالتأكيد سيلاحظ الملك وجود اختلاف ما. ربما جن جنونها، فكيف لا يكون هذا ابنها؟ بدا الأمر برمته بلا معنى لها.

عادت السيدة كانتي إلى سريرها، وهي تفكر: «لا بد أنه حلم، ستعود الأمور إلى طبيعتها في الصباح.»

لكن في الصباح التالي، كان كل شيء أبعد ما يكون عما هو طبيعي. استيقظ جميع من في الغرفة الصغيرة على صوت صياح في الخارج، وطرق أحدهم الباب فجأة طرقات عديدة قوية.

«من هناك؟» صاح السيد كانتي وهو على السرير. «ماذا تريد؟»

قال رجل: «يجدر بك الرحيل يا كانتي. فأنت في ورطة كبيرة؛ ذلك الرجل الذي طرحته أرضًا الليلة الماضية كان القس العجوز، الأب آندرو. لقد ضربته بقوة، ونُقل إلى المستشفى، والشرطة تتجه الآن إلى هنا.»

هب السيد كانتي واقفًا، ليس هناك وقت لإضاعته! «هيا، لينهض الجميع! سنغادر في التو.»

انتصب إدوارد في جلسته مدهوشًا ومرتبكًا. ما كل هذه الجلبة؟ واستغرق منه الأمر بضع دقائق ليتذكر المكان الذي هو فيه، وأنه لم يعد في القصر. وعاوده الشعور بالإحباط من جديد.

وقبل أن يدرك إدوارد الأمر، كان يركض نزولًا على السلالم مع آل كانتي. كانت الشوارع مزدحمة ومفعمة بالإثارة، إذ كان هناك مهرجان مقام بالشارع. وكانت هناك ألعاب وموسيقيون وألعاب نارية على طول ضفة النهر. والسفينة الملكية تشق طريقها في الماء! كان الأمر كما وصفه توم للأمير بالضبط، لكن لسوء الحظ، لم يكن لدى إدوارد الوقت للاستمتاع بالأمر.

أمسك السيد كانتي بيد إدوارد لجذبه وسط الحشد، وتبعتهما السيدة كانتي ونان وبيت ومن ورائهم السيدة العجوز. وكان المحتشدون المتحمسون يرتطمون بهم ويدفعونهم. فقد السيد كانتي توازنه وكاد يقع على الأرض، واحتاج كلتا يديه ليستعيد توازنه. وبمجرد أن أفلت يد إدوارد حتى اندفع الأمير خلسة بين الحشد واختفى. وفي لحظات قليلة، كان قد تحرر من والده المزعوم وجرى على طول ضفة النهر.

الفصل الثامن

عاش ملك إنجلترا!

بينما كانت السفينة الملكية تشق طريقها في نهر التايمز، جلس توم على عرش فاق ارتفاعه أي شيء آخر على السفينة. وتمتع توم من موضعه هذا بإطلالة رائعة على المهرجان المقام في الشارع. لم يسبق له أن رأى المهرجان من الماء من قبل وأدهشه مدى جماله.

ألقى توم نظرة على إليزابيث وجين، اللتين كانتا تتبادلان الحديث، ولم تلاحظا الأضواء على الشاطئ أو الناس وهم يغنون. أدرك توم أنهم رأوا بالتأكيد المهرجان مرات كثيرة من قبل. لم يكن ذلك ليثير انتباههما.

رست السفينة، وتلقى توم وإليزابيث وجين المساعدة للوصول إلى الشاطئ. وأثناء سيرهم وصولًا إلى قاعة كبيرة، تفرق الحشد لإفساح الطريق للثلاثي الملكي. ونُفخ في الأبواق أثناء مرورهم من الباب، وانحنى الجميع لهم. قادت مجموعة من الحرس توم والفتاتين إلى مقاعدهم على منصة. وما إن جلس الأطفال الثلاثة حتى جلس الآخرون جميعًا.

ساد الهدوء القاعة لبضع دقائق فقط، ثم بدأ الاحتفال، وشاهده توم من كرسيه على المنصة. كان المشهد خلابًا؛ بدأ الناس يرقصون والألوان تتراقص. ونسي توم لحظة كل ما يؤرقه من مشكلات؛ فنسي أنه محاصر في شخصية الأمير، وأنه ما من أحد يصدقه، وأنه سيُسجن بلا شك إذا اكتشف أحد الحقيقة. فشرد مغتبطًا وسط مظاهر الاحتفال وأصواته.

كم كان غريبًا أنه في الأثناء ذاتها التي كان توم يستمتع فيها بمباهج الاحتفال، كان الأمير الحقيقي لإنجلترا خارج القاعة يحاول مستميتًا أن يدخل إليها. بذل إدوارد أقصى ما لديه لإقناع الحراس أنه الأمير الحقيقي، لكنهم رفضوا الاستماع إليه، وبالطبع ضحك

الحشد المحيط به. وتساءل إدوارد هل سيمكنه في أي وقت الاعتياد على مثل هذا النوع من الضحك، فقد سمعه مرات كثيرة في اليومين الماضيين، وكان موقنًا أنه لم يرُق له.

قال إدوارد: «عليكم أن تصدقوني، أنا أمير ويلز الحقيقي! ومن يجلس بالداخل ليس سوى مدعٍ.»

قالت سيدة وهي تحاول النظر إلى داخل القاعة: «ابتعد عن هنا، أيها الصبي!»

ثم قال رجل: «لا تدع أحدًا يزعجك. فسواء أكنت الأمير الحقيقي أم لا، ليس لديهم الحق في معاملتك بهذا الأسلوب.»

نظر إدوارد لأعلى ليرى رجلًا طويلًا ونحيفًا يقف بجانبه. كان حسن الملبس، وإن كانت ملابسه قد نالت منها يد الزمان. كان معطفه مغطى بالرُقع والأزرار غير المتطابقة. لكن بدت طيبة القلب على وجهه، وابتسم لإدوارد.

قال الرجل: «اسمي مايلز هيندون.» ومد يده ناحية إدوارد.

لم يصافحه الفتى، وإنما أومأ برأسه بدلًا من ذلك وهو يقول: «وأنا إدوارد».

رد مايلز: «نعم، بالطبع. يسعدني الالتقاء بك، أمير إدوارد.» انحنى مايلز أمام إدوارد وقال: «دعني أتحدث مع هذا الحارس من أجلك.»

عندما سمع الناس مايلز وهو يدافع عن الفتى، أخذوا يضحكون. «انظروا! ها هنا أمير آخر متخفٍ.»

وقال آخر: «ربما يجب علينا مساعدتهما.»

فرد عليه الأول: «نعم، أعتقد أنهما بحاجة إلى بعض المساعدة. إنهما بحاجة إلى بعض المساعدة لإلقائهما في البركة.»

ضحك الجميع، وشعر إدوارد فجأة بيد على ذراعه. كان يسحبه أحدهم إلى مكان أبعد داخل الحشد، فصرخ إدوارد وأشهر مايلز سيفه.

أفلت الرجل ذراع إدوارد، وابتعد عنه وعن مايلز.

قال مايلز: «دعه وشأنه. لا شأن لك به.»

بدا أن آخرين في الحشد لا يرغبون في الابتعاد، فقد تحركوا ناحية مايلز ولم يبد عليهم الخوف من سيفه.

وفجأة نُفخ في أحد الأبواق، وقال عازفه بينما ظهر رجل بالقرب من بوابات القاعة: «أفسحوا الطريق لرسول الملك». استدار الجميع لمشاهدة الرجل وهو يسير إلى داخل القاعة، وانتهز مايلز الفرصة ليمسك بإدوارد ويأخذه إلى مكان آمن. لكن ذلك للأسف

كان يعني أنه سيفوتهما سماع الأخبار التي يحملها الرسول؛ تلك الأخبار التي كانت تهم الفتى كثيرًا.

توقف جميع الحاضرين داخل القاعة للاستماع بينما كان رسول الملك يقترب. كان توم سعيدًا للغاية بمجرد الجلوس ومشاهدة الراقصين. كان يومًا غريبًا، لكن توم كان مستمتعًا. وعندما استيقظ أخيرًا من حلم اليقظة الذي كان يعيش فيه، أدرك أن أنظار كل من كانوا في القاعة كانت موجهة إليه. كانوا جميعًا بانتظاره ليقول للرسول أن بإمكانه التحدث.

نُفخ في البوق مرة أخرى، وتنحنح الرسول، ثم قال: «تُوفي الملك!» ساد الصمت القاعة، وحدق الجميع — وعلى رأسهم توم — في صمت مطبق. وأعاد الرسول قوله: «تُوفي الملك!»

أحنى جميع من في القاعة رءوسهم وأخذوا يتلون صلاة في صمت، ثم التفتوا إلى توم، ورفعوا كئوسهم وأياديهم وهم يهتفون جميعًا: «عاش ملك إنجلترا!»

لم يكن لدى توم المسكين أي فكرة عما يجب عليه فعله. فأخذ يبحث بعينيه في القاعة عن وجه ودود — عن شخص يخبره بما يجب عليه فعله — لكن الجميع كانوا ينظرون إليه ليقوم بالخطوة التالية، وهم يهتفون لملك المستقبل.

مال توم على هيرتفورد وهمس في أذنه متسائلًا: «هل صحيح أنني سأُنصَّب ملكًا على البلاد قريبًا؟»

فأجاب هيرتفورد: «نعم، جلالتك. في غضون أسابيع قليلة، ستُنصَّب ملكًا على كل إنجلترا. وحتى ذلك الحين، سنراجع معًا جميع التفاصيل، وسأساعدك في تولي مهام منصبك الجديد بسهولة ويسر. وعندما يحين موعد تتويجك، ستكون على علم بكل ما يتعين عليك معرفته عن حياة الملك.»

جلس توم على مقعده بائسًا. ملك إنجلترا القادم! ماذا عساه أن يفعل؟

الفصل التاسع

إدوارد ومايلز يعرفان المزيد

من المفترض أن يكون إدوارد هو الذي يتحدث مع لورد هيرتفورد. من المفترض أن يكون هو الذي يتلقى هتافات الجماهير. لكن، بدلًا من ذلك، كان الأمير يركض في شوارع لندن محاولًا الوصول إلى مكان آمن.

قاد مايلز إدوارد عبر الأزقة والشوارع الخلفية، وهو يحكم قبضته على ذراع الأمير. تدفقت أعداد كبيرة إلى الشوارع، ولم يستوعب مايلز كل هذا الصخب حيث أدهشه كم كان المهرجان حاشدًا. وعند وصولهما إلى جسر لندن، كانت الشوارع مكتظة بالناس.

علم إدوارد بأنباء وفاة والده من هتافات الجماهير وصيحاتهم، إذ كانوا يقولون: «مات الملك! عاش الملك! عاش الملك إدوارد!»

ذرفت عينا الفتى دمعًا. فهذا الرجل، الذي اتسم في أحيان كثيرة بالحدة مع الآخرين، كان لطيفًا معه دائمًا. أزعج الأمير خبر وفاة والده وعدم تمكنه من توديعه.

قال الأمير بهدوء: «صرت ملكًا» ونظر إلى الجماهير الهاتفة حوله، «أنا الآن الملك إدوارد. أليس غريبًا ألا يتمكن أحد من رؤيتي؟»

سار مايلز وإدوارد فوق الجسر، الذي اكتظ بالناس إلى الحد الذي أصبحت معه الحركة بطيئة للغاية. طالما كان هذا الجسر مكانًا صاخبًا، فكانت تصطف به المتاجر والنُزل ومحال الجزارة والمخابز. لقد كان في الواقع أشبه بمدينة صغيرة في حد ذاته. كان مايلز يقيم في أحد هذه النُزل، وكاد هو وإدوارد يعبران الباب الأمامي للنُزل حين أمسك جون كانتي بإدوارد من الخلف.

كان السيد كانتي يبحث عن ابنه طوال اليوم، وعبر الجسر مرات عديدة وسأل كل شخص يعرفه هل رأى الصبي. وفي النهاية، لمحه يسير مع مايلز.

قال السيد كانتي غاضبًا: «أظننت أن بإمكانك الهرب؟» كان غاضبًا للغاية. «سأعلمك درسًا لن تناسه بسرعة.» وجذب إدوارد من ذراعه محاولًا سحبه إلى الشارع.

وقف مايلز بينهما، وسأل: «ما علاقتك بهذا الصبي؟ لماذا تهدده؟»

ضيّق السيد كانتي عينيه وقال: «ما دخلك أنت بالأمر؟ إنه ابني، وسأفعل ما يحلو لي.»

قال إدوارد: «هذا كذب! إنه ليس والدي. والدي هو الملك، أو بالأحرى، كان الملك.» بدا الحزن على إدوارد لحظة، لكنه تماسك سريعًا، وقال: «هذا رجل قاسٍ عديم الرحمة.»

قال السيد كانتي: «لا تثر غضبي يا فتى، بدأ صبري ينفد!»

قال إدوارد: «لن أذهب معه!»

ورد مايلز: «حسنًا، حُسم الأمر. الفتى سيبقى معي.» وضم ذراعيه إلى صدره ووقف في مكانه متحديًا.

قال السيد كانتي: «سنرى ما سيحدث بهذا الشأن.» ومد يده محاولًا الوصول إلى إدوارد.

قال مايلز متمهلًا: «انتبه لما أقوله، هذا الصبي أصبح في حمايتي الآن، ولن يستطيع أحد إلحاق الأذى به أو إجباره على فعل شيء لا يرغب في فعله. وحفاظًا على سلامتك، أنصحك أن تتركه وشأنه.» ووضع مايلز يده على سيفه وحدق في السيد كانتي.

تمتم السيد كانتي بصوت خافت، ورحل بعيدًا عنهما.

قال مايلز: «سيكون كل شيء على ما يرام الآن.» ووضع يده على كتف الصبي. «على الأقل، سنحظى بنوم عميق الليلة.»

تبع إدوارد مايلز وصعدا ثلاث مجموعات من درجات السلم وصولًا إلى غرفته. وبحلول هذا الوقت، كان الوقت قد تأخر للغاية، وكان إدوارد جائعًا ومتعبًا.

قال إدوارد: «أيها السيد الصالح، أرجو أن تعلمني عندما يحضر الخدم وجبة العشاء.» ثم استلقى على السرير: «أنا جائع للغاية. أعتقد أنني لم آكل شيئًا منذ يوم أو اثنين.»

وقبل أن يتمكن مايلز حتى من الرد، كان إدوارد قد راح في نوم عميق.

ابتسم مايلز وهو يفكر: «ربما يكون هذا الفتى يتخيل فقط أنه أمير ويلز، لكنه بالتأكيد يعلم كيف يتصرف كشخصية ملكية. لقد أخذ سريري دون حتى أن يطلب.» نظر مايلز حوله في الغرفة بحثًا عن بطانية إضافية، لكنه لم يجد. فخلع سترته واستخدمها في تغطية إدوارد.

وفكر مايلز: «يا له من فتى مسكين! إنه مريض ومرتبك وليس له صديق في هذا العالم.» أخذ مايلز يراقب الفتى وهو نائم. لقد بدا عاجزًا لا حيلة له. وفكر مايلز في أسرته، فهو لم يرهم منذ سنوات. تساءل هل لا يزال والده على قيد الحياة. ربما تغير أخواه، آرثر وهيو، كثيرًا في السنوات السبع التي لم يرهما فيها. ربما يجدر به أخذ الفتى معه إلى منزله، سيرحب والده للغاية بالفتى المريض. أيضًا سيكون أخوه آرثر ودودًا، لكن ربما تكون المشكلة في هيو، لأنه لم يكن ودودًا، لكن تمنى مايلز أن يكون هيو قد تغير بمرور السنين.

نظر مايلز إلى إدوارد وقال: «حسنًا، سأكون صديقه. لقد دافعت عنه بالفعل، وسأصبح الآن أخاه أيضًا. أي شخص سيحاول إلحاق الضرر به سيكون عليه التعامل معي أولًا.»

وفي تلك اللحظة، وصل أحد الخدم حاملًا العشاء. وتركه على المائدة ثم صفق الباب عند خروجه، ففزع الأمير الصغير واستيقظ من نومه. وانتصب جالسًا سريعًا وهو يشعر بالارتباك بشأن المحيط الذي يوجد فيه. وارتسمت على وجهه نظرة حزن وهو يقول: «يا للأسف! ظننت أن كل هذا ربما يكون حلمًا. للمرة الثانية على التوالي أستيقظ في الصباح ويخيب ظني.»

قال مايلز: «في الواقع، سيدي، هذا ليس الصباح.» إذا كان الفتى يعتقد أنه أمير ويلز، فسوف يعامله على هذا الأساس، «لا نزال في منتصف الليل.»

لاحظ إدوارد أن مايلز استخدم معطفه ليغطيه، فقال له: «أنت كريم معي للغاية.» وأعطاه المعطف. «خذه أرجوك، فلم أعد بحاجة إليه.»

أخذ مايلز المعطف من إدوارد، وكانت هذه المرة الأولى التي يتحدث فيها الفتى بكلمات رقيقة. وتساءل مايلز إلى متى ستستمر هذه الكياسة.

وقف إدوارد واتجه نحو الحوض الموجود بأحد الأركان وانتظر.

قال مايلز: «لدينا بعض الطعام الجيد لنستمتع به. ربما لا يكون ما اعتدت عليه في القصر، لكنه دافئ وشهي. يمكننا أن نتناول هذا الطعام ثم نغفل قليلًا، لنستيقظ في الصباح مستعدين ومنعمين بالراحة. سيكون علينا الاستيقاظ مبكرًا إذا كنا سنعيدك إلى القصر.»

نظر إدوارد إلى مايلز بدهشة وبعض من نفاد الصبر.

فسأل مايلز: «هل هناك خطأ ما؟»

قال إدوارد: «أرغب في الاغتسال.»

رد مايلز: «بالطبع، أرجوك تصرف على راحتك، لست بحاجة لطلب الإذن.»

تسمر الفتى في مكانه، وتنحنح وهو يضرب بقدمه على الأرض.

قال مايلز: «معذرةً، ولكنني لا أفهم. هل هناك شيء آخر؟»

قال إدوارد بصرامة: «رجاءً، صب الماء في الإناء.» وبصوت تطغى عليه السلطوية استطرد: «ولا تطل الحديث، من فضلك.»

كبح مايلز نفسه قبل أن ينفجر في الضحك، وأومأ برأسه في أدب، ثم فعل ما طلبه منه إدوارد.

وانتظر بأناة بينما كان إدوارد يغتسل، وهو يفكر: «يتسم هذا الفتى بشيء من الوقاحة. إنه يؤمن حقًّا أنه الأمير إدوارد، وسيتضرر بالتأكيد إذا تركته بمفرده. في نهاية الأمر، لقد سبق أن دافعت عنه مرتين في ليلة واحدة.»

قطع صوت آمر أفكار مايلز مفزعًا إياه فجأة: «هيا، المنشفة!»

مع أن المنشفة، الموجودة بجانب الحوض، كانت بمتناول إدوارد، ناوله مايلز إياها. بعد ذلك اغتسل مايلز بينما كان إدوارد جالسًا على المائدة يتناول طعامه.

عند انتهاء مايلز من الاغتسال، توجه للمائدة. سحب كرسيًّا وتهيأ للجلوس.

قال إدوارد: «انتظر! هل تجرؤ على الجلوس في حضرة ملك المستقبل؟»

قرر مايلز أنه لا توجد سوى طريقة واحدة للتعامل مع هذا الموقف: سوف يجاري الفتى، فيبدو أنه لا فائدة من التشاجر معه. من الواضح أن عقله مضطرب. وضحك مايلز بينه وبين نفسه عندما فكر: «إذا أحدثت مزيدًا من المشكلات، فسيرسلني إلى السجن.» لذا نفذ مايلز ما طلبه ملك المستقبل؛ وعمل على خدمته أثناء تناوله الطعام.

وعند انتهاء إدوارد من طعامه، استرخى في كرسيه. كان من الجيد تناول وجبة مشبِعة أخيرًا. شعر بمزيد من الراحة. توجه بالحديث إلى مايلز قائلًا: «مايلز، هذا اسمك، أليس كذلك؟»

– «نعم يا سيدي. مايلز هيندون.»

«تفضل بالجلوس يا مايلز.» لوح إدوارد بيده ليريه أين يجلس. «حدثني عن نفسك بينما أهضم طعام العشاء.»

جلس مايلز، ولوح إدوارد بيده مرة أخرى، هذه المرة للطعام مشيرًا إلى مايلز بأن عليه تناول شيء ما. كبح مايلز ابتسامة أخرى.

– «أنا من «كِنت»، ووالدي هو سير ريتشارد هيندون، صاحب قصر هيندون.»

قال إدواراد: «إذن، فأنت من أصول نبيلة.»

أومأ مايلز رأسه وقال: «أسرتي فاحشة الثراء، ووالدي رجل كريم وعطوف، يحبه جميع من يعيشون في مقاطعته. أما والدتي، فتوفيت في سن صغيرة للغاية. ولديّ أخوان: آرثر، الذي يكبرني سنًّا، يشبه والدي في كرمه وعطفه؛ وهيو، أخي الأصغر، ليس على القدر نفسه من طيبة القلب. على الأقل، لم يكن كذلك في آخر مرة رأيته فيها. لا يسعني سوى أن آمل أن يكون قد تغير للأفضل بمرور السنين. لقد كان يبلغ من العمر تسعة عشر عامًا فقط آنذاك، لذا فأنا متفائل للغاية.

عاشت ليدي إيديث أيضًا معنا، كانت تبلغ من العمر ستة عشر عامًا في آخر مرة رأيتها فيها. كانت جميلة ولطيفة وذكية. والدها كان إيرل وتُوفي وهي في سن صغيرة جدًّا ليصبح أبي وصيًّا عليها. فهي وريثة لثروة كبيرة. كنت أحبها بشدة، وهي أيضًا أحبتني. لكنها للأسف كانت مخطوبة لأخي آرثر. كان زواجًا مدبرًا بين العائلتين، وما كان لآرثر أو إيديث أي اختيار فيه، ولم يعترضا من باب الولاء للعائلتين فقط.

كان آرثر يحب امرأة أخرى، وكان دائمًا متفائلًا بشأن نجاحنا في تحقيق ما نرغب فيه. كل ما نحتاج إليه هو الصبر. ادعى هيو أيضًا أنه يحب إيديث، لكن الحقيقة هي أنه أحب ثروتها فقط. وكان أخي هيو مقنعًا للغاية، خاصةً مع والدنا. فصدق سير ريتشارد كل كلمة قالها هيو. وبالرغم من عدم ثقة أحد في هيو، اعتقد والدي أنه لا يمكن أن يتسبب في أي ضرر.

وحتى لا أطيل عليك، أخبر هيو أبي بأكاذيب لفقها بشأني. فأدعى أن نواياي سيئة وأنني أتسبب في المشكلات وأجلب العار على العائلة. هذا وقد كان أخونا آرثر يعاني من متاعب صحية، فقد وُلد مريضًا وكنا دائمًا نشعر بالقلق من ألا يعيش طويلًا. ولذا أعتقد أن هيو رأى أنه من الأفضل التخلص مني، حيث إنني كنت الوريث التالي بعد آرثر، فكنت سأرث كل شيء بما في ذلك الزواج من إيديث. كان يعلم أنه لا حق له في ثروة أبي أو ثروة إيديث في وجودي. فأقنع والدي أنني كنت أعتزم اختطاف ليدي إيديث والاستيلاء على ثروتها. وجاء رد فعل أبي مثل أي رجل شريف يواجه مثل هذه «الحقائق». طردني من المنزل، وأُرسلت لأداء الخدمة العسكرية، ثلاث سنوات في الجيش.

كانت ثلاث سنوات عسيرة، خضت فيها العديد من المعارك، وتعلمت فيها الكثير. كان عقابي جائرًا، لكنني حققت أقصى استفادة ممكنة منه. وأُسرت بعد ذلك لأقضي

السنوات السبع الماضية في معسكر أسر أجنبي، تمكنت من الهرب منه أخيرًا والمضي في طريقي وصولًا إلى إنجلترا. ولم تصلني أي أخبار عن أسرتي طوال هذه المدة، لا أعلم هل والدي وآرثر لا يزالان على قيد الحياة وهل تغير أخي هيو أخيرًا أم لا.

لم يمر على عودتي إلى إنجلترا سوى بضعة أيام فقط، وكنت في طريقي إلى منزل والدي عندما عثرت عليك.»

قال إدوارد: «لقد ظُلمت ظلمًا بينًا! عندما أعود إلى عرشي، سأعيد الأمور إلى نِصابها. هذا وعد مني!»

فرد مايلز: «شكرًا لك يا سيدي. هذا كرم بالغ منك.»

«لا داعي للشكر!» قال إدوارد ذلك وهو يلوح بيده. «والآن دعني أخبرك كيف انتهى بي الحال — وأنا ملك إنجلترا — مرتديًا هذه الملابس الرثة وهائمًا في شوارع لندن.»

وعندما كان إدوارد يتحدث، أشفق عليه مايلز كثيرًا، وهو يفكر: «لقد جُن الفتى تمامًا، وفقد اتصاله بالواقع. إنه بحاجة لرعاية مني أكثر مما توقعت.»

عندما انتهى إدوارد من روايته، هز مايلز رأسه في دهشة، وقال: «هذه قصة مروعة يا سيدي.»

قال إدوارد: «لقد أنقذتني الليلة، ولن أنسى ذلك. فلتخبرني بأعظم أمانيك، وعندما أتوج ملكًا، سأحققها لك.»

أمعن مايلز في التفكير بضع دقائق، وكان أول ما ورد في ذهنه أن يقول إنه ليكفيه شرف خدمته. لكنه فكر بعد ذلك أنه ما دام من المرجح ألا يتمتع بمكافأته، فيمكنه أن يطلب المستحيل.

فخر راكعًا أمام إدوارد، وقال: «لا أطلب سوى شيء واحد، جلالتك، وهو أن أتمتع أنا — وكل من يرثني — دائمًا بشرف البقاء في البلاط الملكي.»

قال إدوارد: «لقد لُبي طلبك، وسوف تُعرف دائمًا باسم سير مايلز هيندون.»

أدرك إدوارد فجأة أنه متعب للغاية، وقال: «والآن، اخلع عني هذه الملابس الرثة.» وهو يشير إلى ملابسه. «حان وقت النوم، فقد كان يومًا طويلًا جدًّا.»

انسل إدوارد إلى السرير استعدادًا للنوم، وقال: «نم أمام الباب يا مايلز، تحسبًا لاقتحام أي دخلاء للمكان.»

لم يتسن لمايلز الرد على إدوارد حيث راح الأخير في نوم عميق مرة أخرى. وفكر مايلز: «كان يجب أن يولد ملكًا فعلًا، فهو يتقن أداء الدور إتقانًا تامًا.»

تمدد مايلز أمام الباب وهو يفكر: «حسنًا، لقد نمت بلا شك في أماكن أسوء من ذلك على مدار السنوات السبع الماضية.»

عندما استيقظ مايلز، كانت الظهيرة. لقد تأخر كثيرًا عن الوقت الذي كان ينوي الاستيقاظ فيه، لذا كان يجب عليهما الإسراع الآن. وقف مايلز واستعد للخروج. تحرك إدوارد وسأله عما يفعله، فرد مايلز: «أعتني ببعض الأمور فقط، يا سيدي. سوف أعود في الحال. أرجوك لا تزعج نفسك.» وقبل أن يخرج مايلز من الباب، كان إدوارد قد راح في نوم عميق مرة أخرى.

عاد مايلز بعد نصف ساعة حاملًا حُلة مستعملة من أجل إدوارد وبعض الطعام للإفطار. جلس على المائدة لإصلاح بعض العيوب في الحلة، حيث كانت إحدى الحواشي غير مثبتة وأحد الأزرار بحاجة لإعادة تثبيت. وأثناء عمله ألقى نظرة على السرير، ولاحظ للمرة الأولى ما جعل الهلع والذهول يدبان في نفسه: وهو أن إدوارد ليس موجودًا!

أسرع مايلز إلى الطابق السفلي، وجرى باتجاه الخادم الذي جلب لهما طعام العشاء الليلة الماضية، وصرخ فيه: «أين الصبي؟»

أفزعت حالة الغضب التي كان عليها مايلز الخادم، فتعذر عليه التحدث، وقال متلعثمًا: «جاء صبي آخر بعد أن رحلت يا سيدي، وقال إنك أردت من الصبي الموجود في غرفتك أن يقابلك بالقرب من الجسر. فذهبت إلى غرفتك وأيقظته، وقد انزعج لاستيقاظه في هذا الوقت المبكر للغاية، لكنه ارتدى ملابسه ونزل إلى الطابق السفلي.»

سأل مايلز: «هل رحل إدوارد مع هذا الصبي الآخر؟»

فأجاب الخادم: «نعم، لقد غادرا معًا متجهين ناحية الجسر.»

«هل هذا كل ما تتذكره؟ هل هناك شيء آخر يمكن أن يساعدني في العثور عليه؟» تمنى مايلز ألا يكون هذا الصبي الآخر يضمر السوء لإدوارد.

قال الخادم بهدوء: «كان هناك أمر واحد بدا غريبًا؛ فقد شاهدتهما يسيران معًا، وعلى بعد نحو نصف بناية، خرج رجل رثُّ الهيئة من أحد الأبواب وانضم إليهما. وقد أمسك بذراع صديقك الصبي وجذبه ناحية الجسر. ظننته أنت وأنك متلهف لرؤيته.»

قال مايلز: «أيها الأحمق! كيف سأعثر عليه الآن؟»

خرج مايلز مسرعًا من باب النُزل، وركض في الشارع الذي رأى الخادم إدوارد فيه آخر مرة. وأخذ يفكر: «يا للصبي المسكين! ربما يكون في خطر عظيم. إنه بالتأكيد

الرجل الذي ادعى أنه والده. كيف عساي أسامح نفسي؟ كان يجدر بي مراقبته جيدًا، فالصبي المسكين عليل. من يعلم الضرر الذي يمكن أن يكون قد لحق به؟ لقد خرج من النُزل لأنه ظن أنني قد طلبت مقابلته. لقد وثق فيَّ والآن ربما يكون مفقودًا!»

ركض مايلز بأقصى سرعته. كان عليه العثور على إدوارد قبل وقوع أي مكروه له.

الفصل العاشر

إدوارد في الشرك ثانيةً

بحث مايلز في الشوارع عن إدوارد، وركض على طول الجسر، ومن مكان لآخر مستوقفًا الناس طوال الطريق ليسألهم هل رأوا السيد كانتي والصبي. وتمكن من تتبع آثارهما بضع وحدات سكنية، ثم فقدها. لم يرهما أحد، ولا يعلم أحد مكانهما.

واصل مايلز بحثه طوال اليوم وأثناء الليل. وقد تملك منه التعب والجوع، ونفدت لديه جميع الأدلة التي تساعده في اقتفاء أثرهما. وقرر أخيرًا أنه يجدر به تناول العشاء ونيل قسط كاف من النوم، وسوف يبدأ البحث من جديد في الصباح.

استلقى مايلز في السرير متأملًا. كان يعلم أن إدوارد سيحاول الهرب من الرجل الذي يدعي أنه والده. «ماذا ستكون خطوته التالية؟ هل سيعود إلى لندن؟ كلا، فسيجازف هكذا بأن يُمسك به من جديد إذا عاد إلى هذا الحي. هل هناك من يمكن للصبي الاعتماد عليه؟ كلا.» كان مايلز يدرك أنه الحامي الوحيد لإدوارد، ولم تكن هناك العديد من الخيارات أمام إدوارد بخلاف البحث عن صديقه الوحيد. وبما أن العودة إلى لندن كانت أمرًا مستبعدًا تمامًا، كان الخيار الوحيد أمام إدوارد هو التوجه إلى قصر هيندون. فقد أخبره مايلز أنه في طريقه للعودة إلى منزل أسرته. لذا قرر مايلز التوجه إلى قصر هيندون في الصباح، إذ كان متيقنًا من أنه سيعثر على إدوارد في طريقه إلى هناك، أو أن «ملك المستقبل» الشاب سيعثر عليه في المنزل.

كان إدوارد — للأسف — لا يزال في قبضة السيد كانتي. لكن لم يكن السيد كانتي بمفرده هذه المرة، فكان يصاحبه صديق صغير السن يُدعى هوجو. وكان هذا الفتى الجديد لصًّا. صُدم إدوارد وثار حنقه عندما رأى هذا الرجل الكريه. وكان جرُّه له في الشوارع أمرًا مهينًا ومخزيًا. بدا أن السيد كانتي لا يتمتع بصحة جيدة، فكانت ذارعه

معلقة في حمالة كتف والرضوض تحيط بإحدى عينيه، وأيضًا كان يعرج قليلًا. وبذراعه السليمة، أمسك كانتي بإدوارد واستمر في جذبه.

وأخيرًا توقف إدوارد وأبى أن يواصل السير. فكان من المفترض أن يأتي مايلز إليه، وليس العكس. قال إدوارد: «لن أمضي لأبعد من هنا الليلة، لقد نلت كفايتي.»

فقال السيد كانتي: «لكن صديقك بحاجة إليك، صديقك ذا المعطف الفاخر.» وكان صوته تشوبه نبرة تهكمية. «لقد جُرح وأرسل في طلبك.»

قال إدوارد: «جُرح؟ لماذا لم تقل ذلك من قبل؟ من الذي يمكن أن يفعل شيئًا كهذا له؟»

واصل الثلاثة السير، وتجاوزوا أسوار المدينة وصولًا للغابة. وأخيرًا وصلوا إلى حظيرة قديمة بالقرب من أحد بيوت المزارع. ودخل السيد كانتي وهوجو وإدوارد إليها، وتفقد إدوارد جميع أرجاء المكان بنظره ثم قال: «أين هو؟»

وجاء الرد على سؤاله ضحكة خبيثة من السيد كانتي. «حسنًا، أنت ابني بلا شك. فقد كنت بالغباء الكافي لتتبعني في الغابة. كان من المفترض أن تعي الأمر أفضل من ذلك.»

قال إدوارد: «لست والدي. لا أدري ما يمكنك فعله، لكني أطلب منك أن تكون رجلًا صالحًا وتعيدني إلى النُزل.»

قال السيد كانتي: «لا أظن ذلك يا بني. المدينة ليست مكانًا آمنًا بالنسبة لي. فأنا رجل مطلوب للعدالة، ألا تعلم ذلك؟» وأخرج ذراعه من حمالة الكتف ولوح باتجاه إدوارد. «أنا متنكر. فالمرء لا يعرف أبدًا أين يختفي أعداؤه.»

حاول إدوارد التراجع للوراء، لكن السيد كانتي أمسك به مرة أخرى. «أخبرني يا فتى، أين والدتك؟ وأين أختاك؟»

نظر إدوارد له مباشرة في عينيه، وقال: «كفاك ألغازًا. لقد توفيت والدتي؛ وأختاي في القصر.»

تحرك هوجو باتجاه إدوارد، ونظر إليه وكأنه سيدفع الصبي الذي يصغره حجمًا، لكن السيد كانتي أوقفه. «اتركه يا هوجو. ما من جدوى في إضاعة الوقت مع هذا الصبي.»

بينما كان السيد كانتي وهوجو يتحدثان بصوت خافت، سار إدوارد إلى ركن مظلم في الحظيرة. رتب لنفسه سريرًا في القش واستلقى عليه. تجاهل الأصوات المتهامسة،

وأخذ يفكر في والده. إذا لم يصل إلى القصر في الوقت المناسب، فستفوته جنازة والده. تذكر إدوارد كل اللحظات الحانية التي تشاركها مع الملك. فبالرغم من بعده أحيانًا، كان هنري أبًا صالحًا. ولم يستطع إدوارد أن يلومه على بعده عنه، فليس هينًا أن يكون المرء ملك إنجلترا، حيث يشغل هذا المنصب جزءًا كبيرًا من الوقت.

بعد فترة من الوقت، بدأ جفنا إدوارد يتدليان. تعذر عليه البقاء مستيقظًا، وكاد يغلبه النوم عندما سمع أصواتًا أعلى تأتي من الطرف الآخر للحظيرة. جلس السيد كانتي وهوجو بالقرب من النار، وكان هناك العديد من النساء والرجال الآخرين أيضًا، وكانوا يضحكون ويتحدثون بصوتٍ مرتفع. لم يشعر إدوارد بالأمان، فلم يبد عليهم حسن الخلق.

تبين بعد قليل لإدوارد أن السيد كانتي كان صديقًا قديمًا لهذه الجماعة. وأخذ يستمع إلى ما يروونه من قصص عن عمليات السرقة والمؤامرات. فتحدثوا عن أصدقائهم ممن تُوفوا أو سُجنوا أو تعرضوا لما هو أسوء من ذلك. وعلم أيضًا أن بعضًا من أفراد هذه الجماعة لم يختاروا كونهم لصوصًا. فلم يكن أمامهم ببساطة أي مكان آخر يذهبون إليه عندما فقدوا مزارعهم. وقد وجهوا اللوم للملك في هذا الشأن بقولهم إن هنري أخذ أراضيهم ولم يوفر لهم وظائف يعملون بها. فحاولوا التسول في الشوارع، لكن ألقي القبض عليهم حيث كان التسول أمرًا غير قانوني أثناء فترة حكم الملك هنري. ونظرًا لإعالتهم أسرًا تحتاج إلى الطعام، تحولوا للسرقة. وتساءل إدوارد عن مدى مصداقية هذه الروايات. فهل من الممكن أن يكون والده قد فعل شيئًا بهذا السوء؟

وقف «الزعيم» — أو هكذا أطلق عليه الجميع — وشمر عن ظهره، وقال: «أترون هذه الندوب؟ لقد أحدثها لي حراس السجن عندما تجرأت على الشكوى. قلت إن التسول ليس جريمة، فضربوني بالسوط. وإذا سُجنت الآن، فسيكون ذلك بسبب كوني لصًّا. إن لم يكن هناك اختلاف في العقوبة، فلماذا لا أسرق؟»

«ستتغير القوانين قريبًا!» صاح إدوارد بذلك وهو في الجانب الآخر للحظيرة، ثم سار باتجاه الجماعة التي حدق أفرادها جميعًا فيه والدهشة تملؤهم. فلم يكن أحد يعلم بوجوده سوى هوجو ووالده. «ستتغير القوانين من اليوم!»

سأل «الزعيم» السيد كانتي: «من هذا؟»

هز السيد كانتي رأسه وهو يشعر بالإحراج. «إنه ابني. لا تعره اهتمامًا، لقد أصابه مكروه ما في عقله، ويظن أنه الملك.»

قال إدوارد: «أنا الملك بالفعل.» واندفع باتجاه السيد كانتي وهو يقول: «قريبًا لن تشكك في هذا الأمر. أنت لم تسىء معاملة عائلتك فحسب، ولكنك أيضًا لص. لن تفلت من العقاب.»

قال السيد كانتي غاضبًا: «هل ستشي بي، يا فتى؟»

رد إدوارد بفتور: «سأسلمك للعدالة.» فلم يكن خائفًا من هذا الرجل.

قال «الزعيم»: «الآن، يمكنك أن تطلق على نفسك ملكًا أو فقيرًا إن شئت. ولن يعتقد أحد هنا في هذا أو ذاك، لكننا لا نتهاون مع من يشي، نحن لا نحب الواشين.»

لم يرد إدوارد، حيث أدرك أن هذا الرجل يخيفه، وفطن إلى أن هذا «الزعيم» شخص خطير.

قال «الزعيم» لباقي أفراد الجماعة: «والآن، أيها الإخوة والأخوات، لنشرب نخب ملك إنجلترا القادم، فلا توجد بيننا كل يوم شخصية ملكية.»

«عاش إدوارد، الملك القادم!» هتف الجميع بذلك ما عدا السيد كانتي، حيث جلس وقد ارتسمت على وجهه نظرة غاضبة.

قال إدوارد: «شكرًا لكم.»

دفع هذا الرد جميع من في الحظيرة إلى قهقهة صاخبة، حتى السيد كانتي ظهرت على وجهه ابتسامة خافتة.

قالت إحدى السيدات: «إنه يستحق اسمًا أفضل من إدوارد، ذلك الاسم القديم العادي. أي شخص يمكن أن يُدعى إدوارد.»

واقترح شخص آخر: «ماذا عن فوو فوو؟»

فردت السيدة: «هذا ممتاز، فوو فوو الأول!» وهلل الجميع مرة أخرى.

«إنه بحاجة إلى تاج.» قالت السيدة ذلك والتقطت سلطانية ووضعتها مقلوبة على رأسه، وألقى شخص آخر ببطانية على كتفيه كما لو كانت رداء الملك.

فقالت السيدة: «وعرش!» فحملوا إدوارد ووضعوه على أحد البراميل.

هلل جميع من في الحظيرة ورقصوا حول إدوارد. جثوا أمامه وقبلوا قدميه. وحاول إدوارد دفعهم جانبًا، وصاح فيهم ليتوقفوا، لكن دون جدوى؛ فهم لا يستطيعون سماعه وسط ضحكاتهم الصاخبة، ولم يهتم أحد بما كان يرغب في قوله.

الفصل الحادي عشر

إدوارد يطلع على حياة اللصوص

غادر اللصوص الحظيرة في الفجر، ووقف إدوارد بجانب الطريق بينما اقتحم بعضهم أحد منازل المزرعة، الذي خلا من سكانه، فسلبوا ما أرادوه منه، وساروا مسافة أبعد على الطريق حتى وصلوا إلى منزل آخر خالٍ، ففعلوا به الشيء نفسه.

وصل اللصوص في وقت مبكر من ظهيرة ذلك اليوم إلى إحدى المدن، وطلب «الزعيم» من هوجو أن يأخذ إدوارد ليمروا على المنازل، بينما تجول باقي أفراد المجموعة؛ فذهب بعضهم للبحث عن طعام، وبحث البعض الآخر عن المزيد لسرقته.

سأل إدوارد: «ما الذي تفعله؟»

رد هوجو: «سنتسول.» وكان يسير أمام إدوارد وقد سئم من هذا الفتى وحديثه الغريب.

توقف إدوارد فجأة في مكانه، وقال: «عذرًا! بإمكانك فعل ما تشاء، أما أنا فلن أتسول.»

لم يلق هوجو بالًا لإدوارد، فقد عثر بالفعل على هدفهما الأول. ارتمى هوجو على الأرض متأوهًا وباكيًا. شعر إدوارد بالارتباك وتساءل عما يفعله هذا الصبي.

رفع إدوارد بصره ليرى رجلًا يسير نحوهما. توقف الرجل عندما أبصر هوجو على الأرض وقال: «يا إلهي، ما الخطب أيها الفتى؟»

فقال هوجو متأوهًا: «آه سيدي. أنا وأخي كنا في طريقنا إلى المنزل عندما مرضت.»

سأل الرجل الذي جثا بجانب هوجو: «هل هناك ما يمكنني فعله؟»

– «هل يمكنك منحي بنسًا لشراء بعض الطعام؟ فكسرة صغيرة يمكن أن تجعلني أحسن حالًا، أنا موقن من ذلك.»